

خطبه الجمعة - الخطبة 0078 : خ 1 - أدعية الرسول صلى الله عليه و سلم ، خ 2 - أكثروا ذكر هادم اللذات .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 15-03-1985

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا، و ما كنا لننهي لو لا أن هدانا، و ما توفيقي و لا اعتصامي و لا توكلني إلا على الله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارا بربوبيته وإرغاما لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم ارحمنا فإنك بما راحم، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، وطف بنا فيما جرت به المقادير، إنك على كل شيء قادر، اللهم علمنا ما ينفعنا، و انفعنا بما علمتنا و زدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلا ورزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنها وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الدعاء قمة الصلة بالله :

أيها الأخوة المؤمنون، في الأسبوع الماضي نوهت إلى أن أدعية النبي عليه الصلاة و السلام ما صح منها عن رسول الله، و ما ثبت، فضلا عن أنها أدعية إذا دعونا بها فقد نصب الحقيقة، فضلا عن أن الدعاء مخ العبادة، و عن أن الدعاء قمة الصلة بالله عز وجل، و عن أن كثرة الدعاء تعنى كثرة الذكر، و عن أن بعض المفسرين فهموا من قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)

[سورة الأحزاب: 41]

أدعية في كل الحركات و السكנות :

أي ادعوه دائما، و فدلا عن أن في المكتبة كتبنا تتحدث عن الأذكار التي أثرت عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، إذا دخل بيته، إذا خلع ثيابه، إذا خرج من بيته، إذا توجه إلى المسجد، إذا توضأ، في كل الحركات و السكנות، في الليل و النهار، هناك أدعية أثرت عن رسول الله صلوات الله و سلامه عليه، و ما الدعاء إلا صلة بين العبد و ربه ربنا سبحانه و تعالى قال:

(حَفِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)

[سورة البقرة: 238]

أي الصلوات المكتوبة، و في آية أخرى قال تعالى:

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

[سورة المعارج:23]

أي هذا الالتفات القلبي مستمر طوال النهار، في العمل، في البيت، مع الأصدقاء، مع الأهل، قال

تعالى:

(الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)

[سورة المعارج:23]

تقين الله رحمته في القرآن :

تعني أن الإنسان له التفاتة إلى الله عز وجل، فضلا عن كل هذا، عن أن الدعاء مخ العبادة، و عن أن الدعاء قمة الصلة، و عن أن الدعاء الذي أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كبد الحقيقة، فإن في أدعيته صلى الله عليه وسلم حفائق، هي موضوع الخطبة، حفائق في الأدعية النبوية الشريفة، فمثلا يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَوْفَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَيَوْضَأْ فَلَيُحِسِّنْ الْوُضُوءَ ثُمَّ لَيُصَلِّ رَكْعَيْنِ ثُمَّ لَيُثْنِيْنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجَبَاتِ رَحْمَتِكَ وَغَرَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غُفرَتْهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رَضَا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

[الترمذى عن عبد الله بن أبي أوفى]

فمن ظن أن رحمة الله عز وجل تننزل على الإنسان هكذا اعتباها من دون جهد، من دون طلب، من دون سعي فقد ضل سواء السبيل واللهم إننا نسألك موجبات رحمتك، الله سبحانه و تعالى يرحم عباده كلهم بشرط أن يكونوا أهلا للرحمة، فمن ينتظر رحمة الله من دون استقامة، من ينتظر رحمة الله من دون عمل صالح، ربنا سبحانه و تعالى فتن رحمته في القرآن الكريم، و معنى فتن أي جعل لها قانونا، قال تعالى:

(إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة الأعراف:56]

قال تعالى:

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

[سورة الكهف:110]

هذه الرحماتُ التي تتنزّل على قلب المؤمنين و التي تذيبهم و التي قال عنها بعضُ العارفِين: لو
يعلم الملوكُ ما نحن عليه لقاتلُونا عليها بالسيوف، ما هو هذا الذي نحن عليه؟ هي الرحمة التي
تنزل على قلب المؤمن، قال أحدهم: إن الله يعطي الصحة و الذكاء و الجمال و المال للكثيرين من
خلقه، و لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلّمنا من خلال
دعاه:

((عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له إلى الله حاجة
أو إلى أحدٍ من بنبي آدم فليتوصلَ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثبن على الله ولنيصل على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقول لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنية من كُل بر وسلامة من
كُل إثم لا تدع لي ذنبا إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم
الراحمين))

[الترمذى عن عبد الله بن أبي أوفى]

هذا الصحابي الذي تمنى على النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو ربه من أجله و أن يجعله معه
في الجنة، ماذا قال له النبي الكريم؟

((عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال كنت أبكيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينيه بوضوئه
و حاجته فقال لي سل فقلت أسألك مراجعتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعاني على
نفسك بكثرة السجود))

[مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي]

ذنب أن تطلب الجنة من غير عمل :

أي هناك جهد لا تُعفى منه، لا يمكن و لا يصح أن يقوم به أحدٌ عنك، إذا فهمنا هذا الدعاء، أو إذا
استنبطنا من هذا الدعاء أن لرحمة الله عز وجل موجبات، أولئك الاستقامة، إلا إن سلعة الله غالبة،
من طلب الجنة بغير عمل فهذا ذنب من الذنوب، ذنب أن تطلب الجنة من غير عمل، إذا دخلت
على باع عنده أشياء ثمينة، و سأله عن بعض الحاجات التي يزيد ثمنها عن عشرة آلاف، قل له:
أتأخذ ثمنها ليرة؟ ماذا يفعل بك، و ماذا يقول لك؟ يعذر هذا إهانة له:

((عن أبي هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف الدنج ومن دلنج بلغ المثُر
ألا إن سلعة الله غالبة ألا إن سلعة الله الجنة))

[الترمذى عن أبي هريرة]

جنة عرضها السماوات والأرض، نعيم مقيم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ أَعْدَنَ لِعَبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذْنٌ سَمِعَتْ وَلَا حَطَرَ عَلَى قُلُوبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ فَرَّةَ أَعْيُنٍ))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

بلا جهد، بلا استقامة؟ لذلك وصف النبي صلی الله عليه و سلم ذلك الرجل الذي يتمنى الجنة بلا جهد، وصفه بأنه عاجز، فقال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ شَدَّادِ بْنِ أُوْسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَّنَى عَلَى اللَّهِ))

[الترمذني عن شداد بن أوس]

الإيمان مرتبة علمية وأخلاقية وجمالية :

الإيمان يا إخوة الإيمان مرتبة عالية، مرتبة علمية، ما اتَّخذ الله ولِيًّا جاهلا، لو اتَّخذه لعلمه، مرتبة أخلاقية، مرتبة جمالية، أعلى مرتبة يُلْقَب بها إنسان على وجه الأرض أن يُقال: إنه مؤمن، هذه المرتبة العالية، أتَظَلُّها بلا ثمن؟ إن قلتُ لكم هي بلا ثمن فلا قيمة لها، لا قيمة لهذه المرتبة إذا كانت بلا ثمن، إذا قلت لفلان: إنه دكتور، هل تعني هذه الكلمة أن كلامه أضيفت إلى اسمه فقط؟ أم أن جهوداً كبيرة خالد سنوات طويلة قضتها في البحث و الدرس و التأليف حتى جاء بشيء جديد في عالم المعرفة، هل تظن أن هذه الكلمة يستطيع أن يضيفها كل إنسان إلى اسمه و يصدقه الناس؟ كلمة مؤمن هكذا، النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوفِي قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَيَوْضَأْ فَلَيُحِسِّنْ الْوُضُوءَ ثُمَّ لِيُصْلِّ رَكْعَيْنِ ثُمَّ لِيُصْلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لِيُقْلِلُ لَهُ إِلَى اللَّهِ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجَبَاتِ رَحْمَتِكَ وَغَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي دُنْبًا إِلَى غَرْتَهُ وَلَا هَمًا إِلَى فَرْجَتَهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رَضَا إِلَى قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

[الترمذني عن عبد الله بن أبي أوفى]

الأدب الرفيع مع الله :

هذا هو الأدب الرفيع مع الله عز وجل، لو أن النبي صلی الله عليه و سلم سأله الرحمة مطلقةً لما كان في هذا الدعاء حقيقة تستدعي الحديث في هذه الخطبة، لكن النبي صلی الله عليه و سلم سأله

موجبات الرحمة، فالإنسان لا ينتظر أن تُخرق له القواعد و القوانين، لا ينتظر أن يُعطَل كتابُ الله من أجله، قال تعالى:

(إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

[سورة الأعراف: 56]

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوفَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَيَتَوَضَّأْ فَإِنْحِسِنْ الْوُضُوءُ ثُمَّ لَيُصْلِّ رَكْعَيْنِ ثُمَّ لَيُثْنِ عَلَى اللَّهِ وَلَيُصْلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَيَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجَبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَيْمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غُفرَتْهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رَضَا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

[الترمذى عن عبد الله بن أبي أوفى]

القرب من الله يستدعي دفع الثمن :

فمن أجل أن تقف بين يدي الله، و من أجل أن تنهمر الدموع، و من أن أجل أن يتجلَّ ربك على قلبك، و من أجل أن تقول: أرحنا بالصلاه لا أرحنا منها، من أجل أن تكون الصلاه قرة عينك لا بد من دفع الثمن إنه موجبات الرحمة، و النبي عليه الصلاه و السلام يقول أيضاً: و عزائم مغفرتك " ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَاهَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة النحل: 119]

كلما سألتَ إنساناً " ألا تتوب من هذا الذنب؟ يقول لك: إن الله غفور رحيم، الله سبحانه و تعالى قدَّ مغفرته بالتوبة والإصلاح والإيمان و العمل الصالح، قال تعالى:

(إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ)

[سورة النحل: 119]

النبي جمع شطري الإيمان :

أيها الأخوة المؤمنون، نتابع معكم الدعاء النبوى الشريف:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوفَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَيَتَوَضَّأْ فَإِنْحِسِنْ الْوُضُوءُ ثُمَّ لَيُصْلِّ رَكْعَيْنِ ثُمَّ لَيُثْنِ عَلَى اللَّهِ وَلَيُصْلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ لَيَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجَبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَيْمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غُفرَتْهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رَضَا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ))

كُلَّ إِثْمٍ لَا تَدْعُ لِي ذَنْبًا إِلَّا غَفْرَتْهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَجَحَتْهُ وَلَا حَاجَةً هِيَ لَكَ رَضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

[الترمذى عن عبد الله بن أبي أوفى]

ماذا بقي؟ لم يبق شيء، كل شيء، موجبات الرحمة و عزائم المغفرة و السلام من كل إثم، و الغنيمة من كل بره، و الفوز بالجنة والنجاة من النار، و النبي عليه الصلاة و السلام جمع شطري الإيمان، فقال:

((عَنْ بُرِيَّةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعُنِي شَكُورًا، وَاجْعُنِي صَابِرًا، وَاجْعُنِي فِي عَيْنِي صَغِيرًا، وَفِي أَعْيْنِ النَّاسِ كَبِيرًا))

[رواہ السیوطی فی الجامع الصغیر عن بُریء]

النعم تقضي الشكر و المصائب تقضي الصبر :

أهل الدنيا على عكس ذلك، إن جاءتهم النعم كفروا واستعلوا، و إن جاءتهم الشدائـد يئسوا و قنطوا من رحمة الله، وهم في أنفسهم كبراء و عند الناس صغراء، لكن النبي عليه الصلاة و السلام يعلمـنا أن النعم تقضي الشكر، وأن المصائب تقضي الصبر، إذا أحب الله عبده ابتلاء، فإن صبر اجتباه، و إن شكر اقتناه إذا أحب الله عبده عجل له في العقوبة، إذا أغضبه و لعنه تركه هملا بلا معالجة، قال تعالى:

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَّمَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أَوْثَوْا أَخْتَاهُمْ بَعْثَةٌ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)

[سورة الأنعام: 44]

اللهـمـ اجعلـنـي شـكـورـاـ تـدـخـلـ الـبـيـتـ لـكـ زـوـجـةـ وـ لـكـ أـوـلـادـ، فـيـ بـيـتـكـ الطـعـامـ وـ الشـرـابـ، وـ أـنـاسـ فـيـ قـارـاتـ أـخـرـىـ يـمـوتـونـ جـوـعاـ، لـكـ عـمـلـ، وـ لـكـ دـخـلـ، وـ لـكـ مـكـانـهـ بـيـنـ النـاسـ، كـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـ سـلـمـ تـعـظـمـ عـنـدـ النـعـمـ مـهـماـ دـفـتـ، أـيـ كـانـ إـذـاـ اـرـتـدـىـ ثـوـبـاـ جـدـيدـاـ رـأـيـاـ فـضـلـ اللهـ عـلـيـهـ، كـانـ إـذـاـ تـنـاـوـلـ كـأسـاـ مـنـ مـاءـ يـرـىـ فـضـلـ اللهـ عـلـيـهـ، كـانـ إـذـاـ خـرـجـ مـنـ قـضـاءـ الـحـاجـةـ يـرـىـ فـضـلـ اللهـ عـلـيـهـ، يـقـولـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـ السـلـامـ مـنـ أـدـعـيـتـهـ المـأـثـورـةـ:

المؤمن يرى فضل الله عليه في كل شيء :

((عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِ الْأَذْيَ وَعَافَانِي))

[بن ماجه عن أنس بن مالك]

يعنى الطعام، عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى على قوته وأذهب عني أذاه))

[الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه]

هذه هو الإيمان رؤية بالغة لفضل الله عز وجل، شطره شكر، و الشرط الثاني الأنبياء بلغوا حداً الكمال، بلغوا مرتبة العصمة، لكن المؤمنين ساعةً فساعةً، و الله سبحانه و تعالى لمكانتهم عنده يتولى معالجتهم بألوان المعالجة، قال تعالى:

(وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَفْسٌ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)

[سورة البقرة: 155-157]

أيها الأخوة المؤمنون، جمع النبي عليه الصلاة و السلام في هذا الدعاء شطري الإيمان، عن بُريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:

((اللهم اجعلني شكورا، واجعلني صبورا، واجعلني في عيني صغيرا، وفي أعين الناس كبيرا))

[السيوطى في الجامع الصغير عن بُريدة]

العجب أكبر من الذنب :

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب))

[السيوطى في الجامع الصغير عن أنس بن مالك]

ما هو الشيء الذي هو أكبر من الذنب العجب، أن ترى نفسك فوق الناس، حتى أن الإنسان الذي يستقيم على أمر الله و يرى إنسانا عاصيا فيستعلي عليه، قال عليه الصلاة و السلام: عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((الذنب شوئ على غير فاعله: إن عيره ابتلي به، وإن اغتابه أثم، وإن رضي به شاركه))

[السيوطى في الجامع الصغير عن أنس]

هناك مزالق يقع فيها المؤمنون، يقع فيها المستقيمون أيضا، أنت مستقيم و فلان في مخالفه الله عز وجل، بلا ينبغي أن تستعلي عليه، لا ينبغي أن ترى نفسك فوقه بكثير، الله سبحانه و تعالى تولاك حفظك، قال تعالى:

(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَيْنَ كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

[سورة يوسف: 33]

هكذا قال سيدنا يوسف عليه الصلاة و السلام، قال تعالى

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعُلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْبَرْنِي وَبَنِيَ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

[سورة إبراهيم: 35]

أهل الدنيا تقر أعينهم بدنياهم :

هكذا قال سيدنا إبراهيم، و النبي عليه الصلاة و السلام في دعاء ثالث عن الهيثم بن مالك الطائي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشتك أخوف الأشياء عندي، وقطع عني حاجات الدنيا بالسوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيني من عبادتك))

[السيوطى في الجامع الصغير عن الهيثم بن مالك الطائي]

لفتة دقيقة و لطيفة أي أهل الدنيا إذا رأوا أموالهم الطائلة قرّت أعينهم إن رأوا بيوتهم الفارهة قرّت أعينهم، إن رأوا دخلهم غير المحدود قرّت أعينهم، إن رأوا صحتهم قرّت أعينهم، إن رأوا أولادهم في مراتب رفيعة قرّت أعينهم، إن رأوا بساتينهم يقول لك: هذا البستان اشتريته بكذا و كذا، و لا أبيعه بخمسة ملايين، معنى ذلك أن عينه قرّت به قال عليه الصلاة و السلام: عن الهيثم بن مالك الطائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي، واجعل خشتك أخوف الأشياء عندي، وقطع عني حاجات الدنيا بالسوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقرر عيني من عبادتك))

[السيوطى في الجامع الصغير عن الهيثم بن مالك الطائي]

المؤمن تقر عينه برضاء الله :

أي إذا صلّيت صلاة متقدمة و فاضت بها دموعك و انعقدت فيها الصلة و تحلى ربّك عليك، فهذا هو الذي يدعو أن تقرّ عينك، إن رأيت زوجتك و أولادك طائعين الله، قال تعالى:
(ربّنا هبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَدُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أَعْيُنٌ وَاجْعَلْنَا لِلنُّقَيْنِ إِمَاماً)

[سورة الفرقان: 74]

المعصية شقاء كلها :

و يتبع النبي عليه الصلاة و السلام: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء:

((اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك أبداً حتى ألقاك، وأسعدني بتقواك ولا تشقي بمعصيتك
وخر لي في قضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، واجعل
غناي في نفسي وأمتعني بسمعي وبصرى، واجعلهما الوراث مني، وانصرني على من ظلمني
وأرني فيه ثاري وأقر بذلك عيني))

[الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه]

المعصيَّة شقاء كلها، لكل شيء حقيقة، و ما بلغ عبدُ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه:

((.... حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، واجعل غنائي في نفسي وأمتعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوراث مني، وانصرني على من ظلمني وأرني فيه ثاري وأقر بذلك عيني))

[الطيراني عن أبي هريرة رضي الله عنه]

الذى أعطاك قادرٌ أن يسلب منك :

وهذا أيضاً من أدعيته صلى الله عليه وسلم، وأحياناً يسمع الإنسان أن فلاناً جاءته المصائب مجتمعة، فقد في ساعات ما حصلَّه في سنوات، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عبد الله بن عمرَ قَالَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحْوُلِ عَافِيَّتِكَ وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخْطِكَ))

[مسلم عن عبد الله بن عمر]

يجب أن تعلم علم اليقين أن الذي أعطاك قادرٌ في كل لحظة أن يسلب منك كلَّ ما أعطاك، لذلك لا تنساه، كن معه، كن شاكراً له، كن منبهاً إليه، قال تعالى:

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)

[سورة الكهف: 28]

من يستغنى عن الله يقع في شر عمله :

و أحياناً يثق الإنسانُ بذاته، بخبرته، بعلمه، بما حصلَّه من معرفة فيستغنى بها عن الله عز وجل، فيقع في شر عمله، لذلك دعا النبي صلى الله عليه وسلم:

((عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعْكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاءِ اللَّهُمَّ عَافِيَ فِي بَدْنِي اللَّهُمَّ عَافِيَ فِي سَمْعِي اللَّهُمَّ عَافِيَ فِي بَصَرِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِنَّ فَإِنَّا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَنَ بِسْتَهِ فَقَالَ عَبَاسٌ فِيهِ وَتَعَوَّلُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي فَتَدْعُو بِهِنَّ فَأَحَبُّ أَنْ أَسْتَنَ بِسْتَهِ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكْلِنِي إِلَى نُفُسي طرفة عَيْنٍ وَأَصْلُحْ لِي شَانِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ))

[أبو داود عن جعفر بن ميمون]

كلها أحوال دقيقة تمرُّ على النفس، الإعجاب، الثقة بالقدرة.

ومن أدعيته الاجتماعية صلى الله عليه و سلم، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلی الله علیه و سلم:

((اللهم أصلح ذات بیننا، وألف بین قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور
وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجهنا،
وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابلين لها،
وأتمنها علينا))

[الطبراني عن ابن مسعود]

يعني أحياناً ترى في أسر خصاماً وجاء وبغضاً وعداءً وحافظ على أدق التصرفات،
ومشكلات لا تنتهي، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلی الله علیه و سلم:
((اللهم أصلح ذات بیننا، وألف بین قلوبنا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور
وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجهنا،
وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قابلين لها،
وأتمنها علينا))

[الطبراني عن ابن مسعود]

قال عليه الصلاة و السلام:

((عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا أَخْبُرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ
وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِفَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِيقُ
الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِيقُ الدِّينِ))

[الترمذني عن أبي الدرداء]

وادرك عليه الصلاة و السلام أن الإنسان في شيخوخته تضعف قواه وتضعف حيلته، و يميل إلى
الراحة، فقال عليه الصلاة و السلام: اللهم اجعل أوسع رزقك علىَّ عند كبر سني " فأنا في هذا السن
في أمس الحاجة إلى رزق وفيه، و إلى جهد قليل، قد ينشأ الإنسان في تعب مضني، فإذا بلغ سناً
معيناً وسعاً عليه في الرزق، فهذا من نعم الله على الإنسان، و قد ينشأ الإنسان في بحبوحة كبيرة
فكثماً كبرت سنه ضاق روفه، و هذا الذي استعاد منه النبي عليه الصلاة و السلام: الله إنا نعوذ بك
من السلب بعد العطاء، و من عضال الداء و من شماتة الأعداء.

أيها الأخوة المؤمنون؛ حاسبوا أنفسكم، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك
الموت قد تخططنا إلى غيرنا، و سيتخطط غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما
بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هوها و تمنى على الأمانى.

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولئل الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الإكثار من ذكر هادم الذات :

أيها الأخوة الأكارم؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه الوجيزة، قال: أكثروا ذكر هادم الذات - يعني الموت - فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسّعه عليكم، فرضيتم به فأجريتم، وإن ذكرتموه في غنى بعّضه إليكم فجدمتم به فأثبتتم، إن المنايا قاطعات الآمال، وليالي مدنیات الآجال وإن المرء بين يومين؛ يوم قد مضى أحصي فيه عمله، فحُتم عليه، ويوم قد بقي لا يدرى لعله لا يصل إليه، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف، فلعله من باطل قد جمعه، أو حق منعه "لذلك قال بعضهم: أنت بين أيام ثلاثة: يوم مفقود، و يوم مشهود، و يوم مورود، فالليوم المفقود مضى، إن كنت فيه محسناً، أثبتت، وإن كنت فيه مسيئاً كُتبت هذه الإساءة، ختم به عملك، وليوم المورود، هذا في علم الغيب، لا ندري ما سيكون، وليس لك إلا يوم واحد هو الساعة التي أنت فيها" لذلك قال بعضهم أيضاً:

ما مضى فات و المؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيها

الموت إن ذكر في ضيق وسّعه :

لك هذه الساعة الآن، الآن ثب إلى الله عز وجل، في هذه الدقيقة، هذه لك، لا تدري ماذا سيكون بعد دقائق:

ما مضى فات و المؤمل غيب و لك الساعة التي أنت فيها

لذلك هذه نصيحة وصية نبوية شريفة: أكثروا ذكر هادم الذات - الموت - فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسّعه عليكم ، فرضيتم به فأجريتم، وإن ذكرتموه في غنى بعّضه إليكم فجدمتم به فأثبتتم، إن المنايا قاطعات الآمال، وليالي مدنیات الآجال وإن المرء بين يومين؛ يوم قد مضى أحصي فيه عمله، فحُتم عليه، ويوم قد بقي لا يدرى لعله لا يصل إليه، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف، فلعله من باطل قد جمعه، أو حق منعه.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت و بارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا
واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي و لا يُقضى عليك، و إنك لا يذل من وليت، و لا يعز من
عاديت، اللهم أعطنا و لا تحمنا، اللهم أغتنا بالعلم وزيننا بالحلم و أكرمنا بالتقوى، و جملنا بالعافية،
اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق و النفاق و سوء الأخلاق، اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، و من
الذل إلا لك، ومن الفقر إلا إليك، نعوذ بك من عصال الداء و من شماتة الأعداء و من السلب بعد
العطاء، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، و أصلح لنا
آخرتنا التي إليها مردنا واجعل الحياة زادا لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر،
اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا، واقبل توبتنا، وفك أسرنا، واحسن خلاصنا، وبلغنا مما يرضيك
آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن رواعتنا، وآمنا في أوطننا، واجعل هذا
البلد آمنا سخياً رخيماً وسائل بلاد المسلمين اللهم استر عيوبنا، واغفر ذنوبنا واقبل توبتنا، وتوأ
أمرنا و فك أسرنا، واحسن خلاصنا، واهد أولادنا، بلّغنا مما يرضيك آمالنا واختم بالصالحات
أعمالنا، مولانا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق و الدين، وانصر الإسلام
وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين